

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة التسعون

مالك بن أنس (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، الذي ساد في العلم صغيراً ، فبرع وأفقى ولم يتجاوز سن الحادية والعشرين ، إنه الإمام مالك بن أنس.

عرف الإمام مالك (رحمه الله) بالاهتمام في العلم من صغره ، كما اهتم به العلماء والشيوخ لما عرفوا منه ذلك ، يحدثنا مالك عن هذا الجانب من حياته فيقول : كنت آتي نافعاً وأنا غلام حديث السن مع غلام لي فينزل من درجة فيقف معي ويحدثني وكان يجلس بعد الصبح في المسجد فلا يكاد يأتيه أحد .

هكذا فإنه من حرصه على العلم في صغره ، أفلح وبرع في كبره ، وهذا الموقف من حياة الإمام مالك (رحمه الله) أسوقه لشبابنا في هذا الزمان ليحرصوا على العلم النافع ويجدوا ويجتهدوا فيه ، يجدوا ثمرة ذلك في حاضرتهم ومستقبلهم ، في أنفسهم وفي غيرهم ممن ينتفع منهم .

ومن جانب آخر فإن هذا الموقف أيضاً فيه تنبيه لأهل العلم من الكبار بالحرص على الصغار وتوجيههم وتعليمهم العلم النافع ، وبخاصة الأذكياء منهم ، لأن هذا الصنف من الشباب يرجى منهم في مستقبل أعمارهم مالا يرجى من غيرهم ، وفي كل خير .

وفي طلب العلم نجد توجيهات نافعة من صاحبنا في هذه الحلقة مالك بن أنس (رحمه الله)، حيث يقول : حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، والعلم حسن لمن رزق خيره، وهو قسم من الله تعالى، فلا تمكن الناس من نفسك فإن من سعادة المرء أن يوفق للخير، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يخطئ، وذل وإهانته للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه .

هذه التوجيهات القيمة تحتاج إلى آذان صاغية من الشباب طلبة العلم ، ولا يعني ذلك أن طلبة العلم هم الذين يدرسون على المشايخ في المساجد ونحوها ، بل المعنى أوسع من ذلك ، فإن طلبة المدارس والمعاهد والجامعات هم في عداد طلبة العلم ، الذين يوجه إليهم مثل هذا التوجيه ، نسأل الله لشبابنا فيه العلم النافع والعمل الصالح .

لا بد أن يعلم طالب العلم أن هناك آداباً لا بد له من التحلي بها والتخلي عن ضدها ، وعلى راس هذه الآداب إخلاص النية لله سبحانه وتعالى في طلب العلم، فإن في ذلك إعانة له على الطلب والتحصيل (واتقوا الله ويعلمكم الله) (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) . وكذا الحرص على العمل بالعلم ، ونشره لينتفع الناس به . قال بعض السلف : هتف العلم بالعمل ، فإن أجاب أو ارتحل .

ومن الآداب التي يجب ألا يغفل عنها طالب العلم احترام المعلم ، فإن المعلم كالوالد له حق كبير على التلميذ وإن لم يكونا متساويين - فمنه حق الاحترام والتقدير والدعاء والطاعة بالمعروف ، والذب عنه عند الحاجة ، والأدب في مناقشته وسؤاله ، والبعد عن إيذائه واحتقاره ، وغير ذلك من الآداب التي تعود على الطالب بالنفع في الدنيا والآخرة .

وفي طلب العلم أيضاً لا نعدم من الإمام مالك (رحمه الله) الوصية في الصبر على طول الوقت في طلب العلم . ففي هذا يصف لنا مالك (رحمه الله) حال السلف في هذا الجانب فيقول : كان الرجل يختلف إلى الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه، قال عبد الله بن نافع جالست مالكا خمسا وثلاثين سنة .

هذا الأثر يبين مدى صبر السلف رحمهم الله على تلقي العلم السنوات الطوال ، وشبابنا في هذا الزمان بحاجة إلى مثل هذا المنهج في طلب العلم ، فإن منهم من إذا جلس إلى شيخ من المشايخ شهراً أو سنين معدودة ، مل من الجلوس والطلب ، وربما دخل إلى نفسه أنه قد أحرز العلم فيكفيه عن الاستمرار والمداومة في هذا المجلس .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، لتتجاوز مسألة طلب العلم مع الإمام مالك (رحمه الله) إلى مسألة متعلقة بحياة الشباب ، ولنستمع إلى هذا السؤال الموجه إلى مالك (رحمه الله) : قال مغلد بن خداه سأل مالك عن الشطرنج. فقال: أأق هو؟ فقلت: لا قال : (فماذا بعد الأق إلا الضلال) .

هذا تحذير من الإمام مالك للشباب من اللهو بالشطرنج ، وهذه اللعبة مما قد يقع به بعض الشباب فيصرفون فيها الأوقات الطويلة ، وربما الأموال ، ربما لا يكسبون منها سوى العداوة والبغضاء ، فضلاً عن تضييع الأوقات وإهمال الصلوات . وليس هذا الأمر في لعبة الشطرنج وحدها ، بل ينسحب على ما يماثلها مما يلها به الشباب ، كلعب الورق ، وغيره .

فالشباب بحاجة ماسة إلى أن ينزهوا مجالسهم عن لعب الورق الذي لا يعود عليهم بالنفع ، وأن يغتموا تلك الجلسات ، وتلك الأوقات بما هو خير من حوارا علمية أو قراءة مفيدة ، أو إنتاج نافع يعود عليهم وعلى غيرهم بالخير العميم.

ولعل هذا الصنف من الشباب يجعلوا من حياة الإمام مالك (رحمه الله) لهم قدوة ، فقد سئلت أخته مرة عن حاله في منزله ، قيل لها ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت المصحف التلاوة .

ولا يعني ذلك أن ينقطع الإنسان في منزله عن كل شيء سوى المصحف والتلاوة ، ليس الأمر كذلك ، بل هناك أمور هامة لا بد للإنسان أن يعملها في منزله ، مما يخصه ويخص أهله ، ولكن يجب أن يكون له من وقته نصيب للمصحف والتلاوة في منزله ، سواء للحفظ أو المراجعة أو التلاوة النظرية . إضافة إلى أعمال الخير الأخرى التي يمكن فعلها في المنزل مثل صلاة النافلة ونحوها .

وعلى قراءة القرآن في المنزل قد حث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بقوله : ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)) أخرجه مسلم.

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .